

ابن الرومي في مهاجاة ممدوحيه

فيان عبد القادر أحمد

كلية التربية، جامعة جرمو، جمجمال

Viyan.abdulqadir@charmouniversity

الخلاصة

شاعر عباسي من أصل رومي كان قد أسلم يوم أسلمت أقوام شتى وأمتزجت بالعرب تستحوذ على مزاجه سوداوية قاتمة وتذهب به الظنون مذاهب شتى زيادة على خلق نفسي ومواقف لاتستقر على حال ، تراه يمدح شخصاً ثم لايلبث ان يهجو وعلى الرغم من كثرة ممدوحين الا انه لم يحظ من مدائحه بكبير طائل رغم قوتها وأصالتها وأن نال الاعجاب في نفس الشاعر الا انه تناقض غريب حين يهجو اليوم ممدوح الامس ، حتى نفر الناس من حوله مما زاد من عدد اعدائه ، فكان في تنام وازدياد .

الكلمات المفتاحية: ابن الرومي، مهاجاة، مدح

المقدمة

إن الحديث عن مسألة تنوعت الآراء فيها ، ونوقشت مرارا، وطرحت في أروقة الثقافة ، وعلى محافل في ذكرى ألفية أو عمل مشهور لايعني مطلقا تكرار بقدر مايعني استقرار أو بالاحرى اخضارا يطري الاقلام والازمان بالجددة والطرافة ، واختلاف الرأي في المسألة الذي يعد اختلافا في الطرح الفكري والتناول من جانب ربما خفي في التناول والتحليل أو التنظير والتطبيق .

ابن الرومي شاعر لايشق له غبار ، مشهور ومعروف تناولته أقلام شتى في مناسبات شتى، من دون أن يعني هذا الأمر – قطعاً- أنه لايمكن أستيفاء جوانب معتمة تحتاج إضاءة وتناولا. ولاسيما، وهو شاعر زينته الايام ورينتها ، ونالت منه الخطوب والرزايا حتى اسودت مدامع عينيه وشعره، هذه الخطوب التي كانت تحفل الشعارية، وتهدم الجانبي النفسي حتى امتزجت عوامل الابداع الشعري أو الفني في إرسال أهات تفرد بها في قريحة لم تقف عند سدود أو قيود بل أخذت تطلق زفرات تميز بها الشاعر في شؤم طغى على أسلوبه الشعري فكان أشبه بلهيب لاتنطفئ ناره أطلاقا.

أما هذا البحث فقد تناول جانباً هو أقرب الى الطرافة منه إلى شيء آخر، وذلك حين ينقلب الشاعر على ممدوحيه بالهداء ليأخذ البحث عنوان (ابن الرومي في مهادة ممدوحيه) وهم كثر في قائمة الشاعر ولهم مساحة واسعة ، ومن هنا أخذ البحث ينطلق لوقوف على هذا المذهب الشعري عند شاعر جعل ممدوح الامس في مرمى هجاء اليوم ، ومن هؤلاء الذين انقلب عليهم : (أحمد بن محمد الطائي) و (ابن بلبل) و (إبراهيم بن المدبر) وهؤلاء ممن انتقاهم البحث واختارهم رغبة في الاختصار في هذا الاختيار أو خشية الاستطالة والاسهاب ، ثم اعتمدنا في عرض نماذج من شعر الشاعر على ديوانه المحقق من (عبد الامير علي منها) بعدما قارناه مع تحقيقات أخرى حتى اقتنعنا بهذه الصيغة المحققة ضبط الابيات وتوضيحات في الحواشي مما جعلنا نغفل تحقيقات أخرى لاترقى إلى مستوى هذا التحقيق إلى جانب مصادر أخرى أدبية ونقدية سواء تناولت عصر الشاعر أو الشاعر نفسه .

ويمكن القول: أن البحث استطاع أن يلمع إلى نتائج سردناها في الخاتمة ، ثم نقول لا يمكن اتهام ابن الرومي بالتهور أو اتهام من هذا القبيل في مهاجمة ممدوحيه وانما هذه الصورة في الانقلاب على ممدوحيه ، وانما حتى يبتدر الممدوح المقابل إلى نكران القوافي التي قيلت بحقه ، مما يجعل الشاعر أن يضعه على محك قوافيه من جديد ، وهذه المرة على عكس القوافي الأولى في مهاجمة ذلك الممدوح مما يجعل الحروف نارا تحرق وتحترق ، وبهذا يكون ابن الرومي في هذه التوجه قد أطاق اللثام عن مذهبه الفني في بيان هذا النمط الشعري الذي تميز به مع رهط من الشعراء حين هام على هذه الشاكلة المزدوجة في جريان ربح لانتزاعها السفن .

ثم يؤرخ لنا مسائل مهمة ، تم الشاعر كان صادقا في الهجاء حين يغفل عنه الممدوح ، فلا يعتدي إلا بعدما يعتدى عليه ، وقد استطاع أن يرسم من هذا المذهب الشعري سبيلا ربما افاق الآخرين ملكة وشاعرية في مملكته الفنية التي قادها بل استحسن قيادها على الرغم من كل سهام وأشكال حاصل أو نقد موجه ، وهو أمر لا ينجو منه إنسان شاعرا كان أو لم يكن ، وفي أي مجال كان في الحياة الاجتماعية أو الفنية .

ابن الرومي في مهاجمة ممدوحيه :

يعد أبو الحسن علي بن العباس ، والملقب بابن الرومي (283هـ) من فحول شعراء العصر العباسي وممن يمثل هذا العصر خير تمثيل⁽¹⁾ .

وقد وقع الخلاف الناقد في تقديم شعراء هذا العصر ، فكان الاختيار على ثمانية شعراء يعدهم من الطبقة الأولى وذلك في اعتماد الشهرة ثم مالهم من أثر معمق في تاريخ هذا الشعر ، وهم : أبو نواس ، وأبو العتاهية ، وأبو تمام ، والبحري ، والمتنبي ، والمعري ، وابن الفارض ، وابن الرومي⁽²⁾ وابن الرومي عاش في القرن الثالث للهجرة ، وهو القرن الذي انتابته نزعات شتى من سياسية واجتماعية ثم النزعة العقلية التي طفت على الأفكار إذ كانت اللحمة والتلاقح بين العلم والفلسفة على أوجها ، وما كان بين التصوف والتحلل الخلقي ، وما بين الادب واللغة والفقه وتلك المفاهيم القديمة في شؤون الهندسة والكيمياء والمنطق برؤية حديثة ، إذ عدت المصطلحات اللفظية وتوليد المعاني الجديدة سمة هذا العصر لما كان من اختلاط كبير للعرب بالأعاجم (وإذا كانت كتب التاريخ الادبي قد أهملت ابن الرومي وأخباره ، فهو نفسه قد سدها النقص وسجل بشعره أحداث حياته ودقائق نفسيته ، ومن ذلك نعرف أن حياته كانت سلسلة نكبات .. إذ مات أبوه وهو طفل ، وتزوج فرزق ثلاثة أبناء ماتوا جميعاً في طفولتهم وماتت زوجته بعدهم ، ومات أخوه شاباً ثم ماتت والدته فأصبح ابن الرومي وحيداً بلا أهل)⁽³⁾ .

إن هذا السرد الحكائي المؤلم الذي أخذت مشاهدته تمر بابن الرومي من موت للابناء وموت للزوجة وموت لأخ شاب وكذلك الأم جعله وحيداً يشعر بالأم وحشة لاتغادر ذاكرته عبر مشاهد قاتمة وصورة سوداوية توحى بنا أمام إنسان مصدوم! ساقته موهبته أن يكون شاعراً يترجم هذه السوداوية مافي دخيلته في صورة تلتهب سواداً أكثر من تلك السوداوية نفسها من الغضب والحزن والشؤم على شؤون استهدفتها من دون تردد عما أصابه مهما كانت عاقبة الأمر إذ لم يبق ما يبكيه ويحزن عليه بعد تلك المأساة التي أصبحت لاتنجلي عن صدره في الحياة التعسة التي عاشها على رغم منه .

(1) دراسات في الادب العربي ، عبد الحميد محمود المسلول ، دار الطباعة المحمدية ، 1959م:160.

(2) المصدر نفسه ، 161.

(3) ديوان ابن الرومي ، شرح وتحقيق عبد الامير علي مهنا ، دار ومكتبة الهلال ، ط2 ، 1988: 6.

صراعات التناقضات:

تميزت شخصية ابن الرومي بمجموعة من التناقضات النفسية الغريبة ، فقد عرف عنه غرابة الاطوار والادوار وعدم الاستقرار... تراه اليوم يمدح انساناً ثم لا يلبث أن يذمه غداً ، وهو يعكس في هذا ايضاً أحوال الناس والحياة في عصره الذي عرف بالتقلب والقسوة والجبن وقلة الوفاء والفتن والدسائس (ولم ينل شاعر من اعراض مؤرخي الادب) مثل ما لقيه ابن الرومي ، بسبب كثرة خصوماته في عصر وافراطه في الهجاء حتى صدق ما قاله فيه أحد معاصريه أن لسانه أطول من عقله (ش^ه)

(وكان أكثر معارفه يعابثونه ويهملونه فكان لذلك كاتم الشكوى والعتاب فهو حاد الطبع ، وسريع الانفعال ، قليل المجاملة صريح لايمالئ ولايتلطف) (ه^ه)

والمتصفح لديوان ابن الرومي يرى الهجاء غالباً على كل ما عداه من فنون الشعر ليرسخ في النفس أن هذا الشاعر عدو للناس والمجتمع بعيد عن الاتزان وضبط النفس وحماسة الانسان العاقل ، قريب من معادة الانسانية ، بمعناها العام .

آفة الرواة وسلاح الشاعر

إن آفة الأخبار روايتها... وتعني أن النصوص التي سردتها كتب التاريخ والتراجم قد لا تحمل الحقائق كما هي ، ولاهي الحقيقة كما كانت ؟وقد هذبت نصوص ، وشذبت أسطر ونفحت مقالات على طول التاريخ وعرضه .وفي هذا الصدد لا نتردد في دفع نصوص أشك فيها كما أوردت بحق ابن الرومي ، إذ قد لا يمثل الحقيقة أو ربما على طرفي نقيض ومنافاة إذ يمكن دفع ما يمكن دفعة ، وقبول ما يمكن قبوله في ضوء التذكير السليم على محك من نقد سليم . إذ لسننا في كل أخبار الشاعر وشعره ولاسيما في شعر الهجاء على كثرة فحشة أن ابن الرومي كان بمثابة (الضحية المعتدى عليه ، وكان للدفاع عن النفس في عصر لا يبر الضعفاء ولايرحم المساكين....) (و^ه) .

فلن يكن للشاعر ابن الرومي هذه الاداة المهاجية أو السلاح القاذف (إلا في حالة الاضطراب والاستفزاز) (ب^ه) .

إذ كان يرى أن الدنيا ليست سوى حظوظاً عمياء تجري على الناس على طريق المصادفة.... وأن الخطوب والرزايا تفعل ماتفعله الكيمياء- الحجر الفلسفي- فترفع أقواما وتخفض آخرين سواءً عن جدارة أو عدم جدارة على مشاكلة ابن الصقر الشيباني الذي يصفه ابن الرومي عبر تلك الكيمياء العجيبة أو الحظ الذي ينبسط لقوم من آخر ، بقوله :-

عجب للناس من أبي صقر إذ ولي بعد البطالة الديوانا

إن للحظ كيمياء إذا مــــا مس كلباً أحالة إنساناً (ج^ه)

نعود قائلين إن ما حدث من مأس لأبن الرومي من موت عقب موت في أهله أما وزوجة وأخاً وأولاداً لم يثن من عزمه في مخالطة الناس إذ كان يألف الناس ويألفونه ، ويبرهم ويبرونه إلا أن الفقر المدفع ضرب حوله بقيد من حديد مما أضطره أن يتكسب شعره ، في الوقت الذي كان الشاعر شديد الحساسية في احتفاظه بكونه كرامته وشعره على السواء وكان فيمن

(4) في الادب العباسي ، د علي الزبيدي ، دار المعرفة، القاهرة 1959 ، 70.

(5) ديوان ابن الرومي ، شرح وتحقيق عبد الامير علي مهنا ، المجلد الاول ، دار ومكتبة الهلال ، ط2 ، 1988 : 7.

(6) الامتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدى تحقيق أحمد أمين ، وأحمد النبي، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939 : 223.

(7) المصدر نفسه: 224.

(8) ديوان ابن الرومي ، شرح وتحقيق عبد الامير مهنا ، دار ومكتبة الهلال 1998 ، 24.

صافهم فى ؤىاته الغنى الذى ىرىء اسءعباءه بماله ، والءابء الذى ىلمء فىه مؤاىن الضءف فىلء ؤلها بعبءه والغبى الذى ىءهل ؤىمة شعره وأمءال هؤلاء كانوا ىسءفنزنه فىضطر الى هءائهم وىءركون فىه طبعه الءاء أو طبعه المءائل الذى لا ىسءسلم ولا ىسءكن لمهاؤمة . وىأىء الءارس الءاؤء عباس مءمود العقاء فىعلل المسألة لنا اسءقصاء ابن الرومى للمعانى الشعرىة والالءاء ؤلها ؤعللأاً ىرءع فىه الى الءراساء النفسىة وىرى اءءلال أءصابه وءءة وسوسءه وكءرة أوهامه وءورة إءساسه) وءءءلف نرءاء هءا الاسراف وسببها ؤلها واءء مطاوعة الرءبة الءاضرة والانءفاع معها وقلة الصبر ؤلها ولو أن بعض هءه الاشواق الءامؤة شفءت بمسءة من العزم المءىن اعءءلء ؤالة ولو بعض الاعءءال ، وسلم ؤسمه ولو بعض السلاءة)^(٩) ومهما ىكن من الامر فإن من الءقائء الواضءة أن العبقرىة والءنون مظهر ان لىء واحد هو اءءلال ءوازن العقلى وقءىماً أءرك الناس ذلء فقال العرب (ذكان المرء مءسوب ؤلها)^(بءء) وهنا ىءب أن لانسى أن فقءان أولاءه ءءالءة فى ؤاءءهم وفقءه زوءءه وأءاه الاءبر لا ءبى مؤالاً للءك فى سبب ءناقض طبعءه وأضطراب أءصابه ..

مءء سابق وهءاء لاءق

كان الشعر العربى ىنبء ءائماً من طبع الشاعر وىفءر من إءساسه لا ءءءكم فىه صئعة ، ولا ىفءء صاءبه الى ءنقء أو ءؤوىء ، لىءءسب رضا كبرىاً أو ىصل الى عطف عظمى إذ هو مءءوء فى أشراف الناس وىضعونه فى مؤضع الرىاسة والءعظىم ، وهو لا ىقول الشعر الا اسءءابة لاءساسه ، وانقىاءاً لءاطفة ىسءغل بها ؤاظره .

قال ابن رءىق : كانت العرب لا ءءءسب بالشعر وانما ىصنع أءءهم ما ىصنعه فكاهة أو مكافاة عن ىء لا ىسءطىع أءاء ؤءها إلا بالشءر إءظاماً لها . كما قال امرؤ القىس ىمءء بنى ءىم رهط المءلى :-

أقرءءءا امرؤ القىس بن ؤءر بنو ءىم مصابىء الظلام^(ءءء)

ولىس من شك أن ابن الرومى شاعر فءل ومصور بارء ، ءقىق المعانى ، عمىق الفءر ، بءىع ءءصوىر وهو عئء ابن رءىق القىروانى (أولى الناس بأسم شاعر لكءرة اءءراعه وءسن افءءنانه)^(بءء) وىمءاز شعره بطول النفس مع المءافظءة على السلاءة فهو مءءءر فى النسء ءون ءعب أو ءكلف) فهو شاعر عربى ىمءاز بكءرة المءولات ءى ءءاواز المئءة والمئءة والءمسن بىءاً وأكءرها ؤسن السبء كءىر الالوان المعنوىة)^(سءء) .

وقء ىفءر بعض الباءءىن هءاء ابن الرومى للكءرة الهائلة من شعره وعءابه وعلمائه من أمءال البءءرى (ء 284هـ) والمبءرء (ء 286هـ) والاءفش وءىرهم وقء ىءسا مءون فى هءاء ابن الرومى للمفنىىن والمفنىاء فى أىامه لكنهم ىقفون من ابن الرومى مؤقف ءءشك والاءءام بالنسبة لهءائه من سبء له مءءهم من ذوى المناصب وهؤلاء الءىن كان ىءؤءه الىهم بمءءءه لىسءءىن بءاوانزههم على مواصلة الءىاة فهل كان ابن الرومى إنساناً ؤىر سوى الطبىعة منافقاً قءىماً عءىم الوفاء؟ وأىهما كان اصءق مءءءه السابق أم هءاؤه اللاءق؟ واذا كان مءءءه نفاقاً فى سبىل لءمة الءبىر ، فما ؤءواه من وراء هءاء ذى المناصب ، وبعءهم كان ما ىزال فى منصبه؟

أسلوبه فى مهاؤة مءءوءىه

(٩) ابن الرومى ؤىاته من شعره ، عباس مءمود العقاء ، القاهرة 1983 ، 126 .

(١٠) ءارىء النقء الاءبى عئء العرب من العصر الءاهلى الى القرن الرابع الهءرى ، الاسءاء المرءوم أءمء أبراهىم ، ءار القلم : 136 .

(١١) العمءة لابن رءىق القىروانى ، ؤ 1 ، 64 ، ءء ، مءمء مءى الءىن مط السءاءة ، 1955 ، مصر .

(١٢) العمءة لابن رءىق القىروانى ، ؤ 1 ، 67 ، ءء ، مءمء مءى الءىن مط السءاءة ، 1955 ، مصر .

(١٣) ابن الرومى ؤىاته من شعره ، عباس مءمود العقاء ، القاهرة ، 1938 : 128 .

ان من يطلع على شعر ابن الرومي تجعلنا نؤكد أنه لا يبتدر خصومة بالهجاء، بل يظل يصبر عليهم حتى لا تبقى للصبر بقية، وهو حذر جداً في علاقته بذوي السلطان، لأنه شديد الاحساس بعوزة وحاجته الى التمسك بشعره ومجال ان يقطع معين رزقه لاندفاع أو تهور بل ما أعجبه حين يصف لنا حذره من ذوي السلطان ويصنع بنفسه حدوداً لهجائه في قوله :

لا أذنع السلطان في أيامه	خوفاً لسطوته ومرُّ عقابِه
وإذا الزمان أصابه بصروفه	حاذرت رجعتَه ووشك مثابه
وأعدُّ لوماً أن أهم بعضه	إذ قلت الأيام من أنيابِه
تالله أهجو من هجائه زمانه	حرمت موثييه عند وثابِه
فليعلم الرؤساء أني راهب	لننشر والموهوب من أسبابِه
طبُّ بأحكام الهجاء مبصرٌ	أهل السفاه بزيفه وصوابِه

حرمُ الهجاء على امرئ غير امرئٍ وقع الهجاء عليه من أضرابه
أو طالب قوتاً حماه قادرٌ ظلماً حقوق طعامه وشرابه^(شمت)

ماحكم هذا الدستور الذي وضعه ابن الرومي لهجائه وما أرشد صرامته، انه لا يهجو اصحاب السلطان وهم في أوجههم، خوفاً من سطوتهم وعقابهم، فإذا خان الزمان أحدهم عفاً ابن الرومي عن هجائه خوفاً من عودته الى السلطة مرة أخرى، ولكن هذه العفة لا تقوم على أساس الخوف وحده، بل على اساس من كريم الخلق فمن اللوم هجاء إنسان تعرض لمحنة وكم من الشعراء كانوا ينهشون ممدوحيه السابقين بمجرد تجردهم من السبطة. وكان (البحتري مشهوراً بذلك فقد هجا نحو أربعين من ممدوحيه السابقين بعد تجردهم من السلطان)^(لهتز).

(وابن الرومي يطمئن الرؤساء من ناحيته فهو يهرب الشر وهو خبير بأحكام الهجاء :متى يجوز ومتى لا يجوز وهو يقصر جواز الهجاء على موضعين: الرد على من يهاجيه من أقرانه، وردع الظالمين الذين يمنحون الفقير حق ما يقتات به)^(لقر) فإذا كان ابن الرومي قد خرج على دستور الهجاء الذي وضعه ، فليس من سبب هذا الخروج الا ان يكون اضطراراً يستفز الشاعر لهذا الهجاء

نماذج من مهاجاة ممدوحيه

أول من يلقانا من أصحاب المناصب ممن هجاهم ابن الرومي بعد مدح وهو واحد ممن أنقلب عليه هجواً بعد احراء ومدح وهو ابراهيم بن المدبر الكاتب الذي شغل عدة مناصب هامة كان من بينها منصب وزير المعتمد ويتزجملها قوت فيقول عنه (ابراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر، أبو أسحق الكاتب الاديب الفاضل الشاعر الجواد المرسل ، صاحب النظم الرائق والنثر الفائق تولى الولايات ووزير للمعتمد ، توفي 279هـ وهو يتقلد ديوان الضياع للمعتمد ببغداد)^(بيتر).

(14) ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الامير علي مهنا ، المجلد الاول: 265.

(15) د. شوقي ضيف، منشورات ذوي القربى، الطبعة الاولى ، 1426 : : 322.

(16) ابن الرومي في الصورة والوجود ، د. علي الشلق ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، 1982، 124.

(17) معجم البلدان ، ياقوت الحموي، مط، دار الصادر ، بيروت 1955 : 350.

وقد مدحه ابن الرومي بمناسبة هروبه من سجن الزنج سنة 257 ولكن يبدو أن ابن المدبر لم يكن كريماً مع ابن الرومي بحيث يمنحه جائزة سخية على مديحه بل لعله بحكم شاعريته خاض في نقد شعر ابن الرومي وهذين السبب استحق الهجاء ويطلبه ابن الرومي في هجائه برد قصائد مديحه فيه ولو ممزقة فيقول:-

أردد علي قراطيسي ممزقةً كما تكون رؤوساً للذساتيـج
فإن ذلك أحدى من شاغلها بحفظ مدحك ياعلج الفلاليـج^(تت)
أحمد بن محمد الطائي؛

وهو الآخر ممن انقلب عليه الشاعر من مدح الى مهاجاة ، وهو الآخر من أصحاب المناصب الذي سبق لابن الرومي ان مدحهم ثم عاد فهجاهم ، أحمد بن محمد الطائي الذي كان والياً على الكوفة سنة 269هـ ويذكر الطبري أن ابن الرومي هجا أحمد بن محمد الطائي لسببين يزكيان خروجه عن دستور في الهجاء ، أما السبب الاول فهو (مماطلة الطائي في تحقيق وعد قطعته على نفسه باجراء عطاء على ابن الروني والسبب الاخر أختطافه ابن أحد الكتاب وأتخذه رهينة بسبب خوفه من القتل في أثناء وزارة ابن بلبل في واسط ، أي حوالي سنة 273هـ)^(تت) وكما نعلم من تتبع حياة ابن الرومي في هجائه للطائي مطمئناً وهو في حمى ابن بلبل :-

علجُ ترقى رمده فرتبة ولم يكن أهلاً لهاتيك الرتبة
فزَلْ من تلك المراقبي زله أصبح منها مشقياً على العطب
وهكذا كل من ارتقاء في العلا قريب عهد بارتقاء في الكـرب^(تت)

ما أشد احساس ابن الرومي بعذابه في هذه الدنيا التي لم يرد منها الا ما يمسك عليه حياته ومع ذلك يأبى الحظ أن يماطله عن طريق اولئك المدوحين الذين لا ينفصون على شعره الرائع ، وليس غير هذا الشعر وسيلة لاكتساب الرزق الشحيح الذي لا يحصل عليه الا بعد كد ومعاناة .

الشاعر وابن بلبل

وكما نعلم أن الشعر يعبر عن عاطفة تؤدي بدورها الى خلق علاقة أو ارتباط بين الموقف أو الموضوع المستعمل من قبل الشاعر والعاطفة عي التي تستثيره وتوقظه^(تت) وعلى الرغم من صلة ابن الرومي القوية بأبي الصقر أسماعيل بن بلبل الذي تقلب في عدة مناصب (فكان رئيساً لديوان الضياع في سامراء سنة 255هـ ، وكان وزيراً في أيام الموفق وعلى الرغم من مدائح ابن الرومي المطولة في مناسبات مختلفة وعلى مدى سنوات كثيرة الا أنه ناله بهجائه)^(تت) .
وربما السبب واضح في أغفال ابن بلبل المتعمد لابن الرومي ومنعه ما يستحق من جوائز على مديحه فيخطبه :
ما بال شعري لم توزن مثوبتهُ وقد قضت منه أوزان وأوزان^(سمير)

(18) ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الامير مهنا، المجلد الاول، دار الهلال، معجم البلدان ، ياقوت الحموي، مط، دار الصادر ، بيروت 1998، 5.

(19) العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف ، منشورات ذوي القربى ، ط1 ، 1426 ، 324.

(20) ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الامير مهنا، المجلد الاول، دار الهلال ج1 ط2 1998 ، 241.

(21) آفاق في الادب والنقد ، د. عناد غزوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 : 45.

(22) ابن الرومي، حياته وشعره روفون جست ترجمة د. حسن نصار ، دار الثقافة بيروت ، 91.

(23) ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الامير مهنا، ج6 دار الهلال ، 1998 ، 186.

ويستخدم ابن الرومي قبل أن يتحول تماماً الى هجاء ابن بلبل أسلوباً طريفاً في الهجاء يبدؤه بمعنى صريح وواضح، وهو أن مد يجه لابن بلبل ليس نابعاً من محبة شخصية أو أعجاب به ولكن للحصول على عطائه فيقول:

أظنك خبرت أني امرؤ أبر الرجال بشعري احتساباً
وذلك أحسن ما في الظنون إذا ما أخ بأخيه أستراباً
ولو غيرك السائمي ما أرى نشعبت للظن فيه شعاباً
فقلت: غببي كساجهله نواظره دون شمسي ضباباً
وران على قلبه رينه فليس يريه جوابي صواباً

وابن الرومي في هذه القصيدة يستخدم أسلوباً غير مباشر الهجاء، يقوم على الظن والافتراض الذي قد يكون مرده الى الخطاء ولكنه بعد كل ظن يقول له: ذلك؟ وكأنه يريد أن ينتزع منه اعترافاً بصحة كل ما أفترضه فيه من سوء الظن. وقد (أح ابن الرومي على أدعاء العروبة بين ذوي الاصول الاعجمية كثيراً منذ القرن الثاني الهجري) (شهير).
يقول ابن الرومي :-

عجبت من معشر بعقوتنا باتوا نبيطاً ، وأصجوا عرباً
مثل أبي الصقر إن فيه وفي دعوة سيبان - آية - عجباً
بيناه عجباً جبتنا إذ مسسه الكيمياء فانقلبا
عربه جدّه السعيد كمنا حول زرنوخ جده ذهبنا
ياعربيا أبناؤه نبط يانبعة كان أصلها غربا
كم لك من والده ووالدة لو غرسا الشوك أثمر العنبا
بل لو يهزان هذه نثرت من رأس هذا وهذه رطبا
لم يعرفا خيمة. ولا وتدا ولا عمودا لها. ولا طنبا (لهير)

لم يكن ابن الرومي في هجائه اسماعيل بلبل متجنياً، بل ان هذا الرجل قد أذلة بحيث جعله يعري مشاعره بصورة كاملة فإذا بنا أمام أنسان مظلوم قهره الظلم، يبيع عصارة فكره ولا يجد من يشتري بل ان الممدوحين يحاولون اذلاله واساءة معاملته. وكما نعلم (أن جوهر الشعر لا يكمن في لفظه ومعناه وأسلوبه وموسيقاه والبنية الفنية فحسب ولكن في القصة التي يحكيها..... معنى أن الشعر في حقيقته حكاية) (٢٤)

وهذا مانلاحظه في شعر ابن الرومي فكل قصيدة نرى فيها حكاية وأسلوب فني جديد وحوار بلون آخر وأشعاره دائماً كان فيه عزة نفس وكبرياء فهو كان دائماً يذكر ممدوحيه بأنه حر مثله وليس عبداً يقرع أو كلباً يطرد وهذا الموقف اللاأخلاقي من جانب اسماعيل بن بلبل جعل هجاء ابن الرومي ذا نفحة انسانية فهو يقول:

حرمت في سني وفي ميعتي قراري من دنيا تضيفتها

(24) العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ط الاولى، مطبعة ذوي القربى 1426هـ، 303..

(25) ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الامير مهنا، ج1، مكتبة الهلال 1998: 344.

(26) مقالات في الشعر والنقد والدراسات المعاصرة، د.أحمد اسماعيل النعيمي، دار دجلة، عمان 2012، 107.

لهفي على الدنيا ، وهل لهفة	تنصف منها ان تلهفتها
كم آهة لي قد تاؤهتها	فيها ومن أف تأففتها
أغدو ولا حال تسنمتها	فيها ولا حال ترد فتها
قبجاً لها . قبجا على أنها	أقبج شيء حين كشفتها
تعسفتني أن رأني امرءاً	لم ترني قط تعسفتها
كددت النفس من بعدما	رفهتها قدماً وعففتها
ولا طالباً رقاً سوى مسكة	ولو تعدت ذاك عنفتها
وناكد الجد فمنيها	وما طال الحظ فسوفتها

وكما نلاحظ شدة عذاب ابن الرومي في هذه الدنيا ومعاناة لكسب الرزق عن طريق هؤلاء المدوحين.

وقد صدق العقاد حين قال (وانت نقلب ديوان ابن الرومي فتقرأ فيه عشر قصائد في الشكوى والتذكير والاستبطاء والالحاء والانداز والهجاء، الى جانب قصيدة واحدة في المدح)^(بيبي) ويعدد العقاد مواقف المدوحين المخزية من ابن الرومي فأسماعيل بن بلبل يسيء فهم مديحه الرائع فيه ويظننه هجاء ومحمد بن عبد الله يهجو شعر ابن الرومي :-

مدحت أبا العباس أطلب رفته
فخبيني من رفته وهجاء شعري

وكان ابن الرومي يشعر باستبعاد المدوحين له أن قبلوه في مجالسهم وأحضره مواعدهم ويفرضون عليه وفاء العبد للسيد والصنيعة لولي النعمة ويظنوا أنهم كفلوه بالعيش الرغيد والظل الضليل، يقول ابن الرومي :-

إذا امتاحهم أكلة عبديو	ه تعبي رب لمربويه
يخالون أنهم بلغو	ه بالقوت أفضل مطلوبه
وأنهم حرسوا نفسه	به من غوائل مرهويه
يذيل مضيقتهم ضيفه	كملبوسه وكمركويه ^(تبي)

ولهذا هجاء ابن الرومي بمدوحيه السابقين وكان يروى أنهم غافلون عن شعره:

ما حمدت ناري ولكنها
الفت قلوباً نارها خامدة^(تبي)

وكما لاحظنا قضية هؤلاء المدوحين وانسانيته المضيعة ازاء هذا الشاعر الذي ذوب عصارة فكره في تمجيدهم ولم يقبض منهم الا على هواء، ليعيش مضطهداً، ويمون مظلوماً في زاوية منسية ليخلده شعره في جوارح يصدق بالخلد.

نتائج البحث

1- نستفيد مما تقدم أن ابن الرومي كان مظلوماً في هجائه لمدوحيه فقد كان مواقفهم مخزية من ابن الرومي فالهجاء كان قصاص الاهمال.

2- استخدم الشاعر اسلوب غريب وطريف في الهجاء وهو كان صريحاً غاية الصراحة في طرحه للموضوع.

(27) ديوان ابن الرومي ،شرح وتحقيق عبد الامير علي مهنا، ج 3:19.

(28) ديوان ابن الرومي ،شرح وتحقيق عبد الامير علي مهنا، ج 1:295.

(29) المصدر نفسه: ج 2/ 177.

3- لابد من الاشارة الى ان ابن الرومي كان غزير الشعر سريع البديهة ولا يعتمد الى التروي ولعل ابرز ملامح الشخصية عند ابن الرومي أن شعره وحياته شيء واحد فشعره يصور شخصيته بمختلف جوانبها في ملذات والآمه وخوفه وتشاؤمه والمحن التي أصابته في ماله وأسرته فأصبحت حياته وشعره قصيدة واحدة.

المصادر

- ابن الرومي ، حياته وشعره، روفون حست ترجمة د. حسين نصار ، دار الثقافة بيروت، 1950.
- ابن الرومي حياته من شعره ، عباس العقاد ، القاهرة 1983. ديوان ابن الرومي ، شرح وتحقيق عبد الامير علي مهنا، دار ومكتبة الهلال ط2، 1998.
- ابن الرومي في الصورة والوجود، د. علي الشلق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 1982.
- آفاق في الادب والنقد ، د. عناد غزوان ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- الامتاع والمؤانسة ج الاول، أبو حيان التوحيدى ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزيني، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1939.
- تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، الاستاذ المرحوم أحمد أبراهيم ، دار القلم، 1980.
- دراسات في الادب العربي، عبد الحميد محمود السلوت ، دار الطباعة المحمدية ، 1959.
- العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف، منشورات ذوي القربى ط1، 1426.
- العمدة لابن رشيق القيرواني ج الاول، تحقيق محمد محي الدين مط السعادة، 1955م.
- في الادب العباسي، د. علي الزبيدي ، دار المعرفة، القاهرة، 1959م.
- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، مط دار الصادر بيروت، 1955.
- مقالات في الشعر والنقد والدراسات المعاصرة د. أحمد اسماعيل النعيمي ، دار دجلة ، عمان 2012م.

Abstract

Poet Abbasi of the origin of the Rumi Muslim with the people and mixed with the Arabs .eccentric mood blackness، much thought and anxiety see praise a person and then Aylbeth to echo and despite the abundance of Mamdouhin this poet Abbasi but he did not receive .

The praise Bkir useless despite the strength and originality that impressed what. Psychological poet praise is that strange contradiction that carries on the praise of a human and then carry it on his spelling and this literature alienated people from people.